التعبير عن الإنسان في آثار و أفكار ميخائيل نعيمه

طالب الدكتوراه محمد لايقيان جوان
فرع اللغة العربية و آدابها ـ جامعة آزاد الاسلامية كاشمر ـ خراسان ـ إيران
mljavan@yahoo.com

Expressing the human being in the implications and ideas of Michael Naema

Doctoral student Muhammad Iqian Joan
Arabic Language and Literature Branch Islamic Azad University ,
Kashmar , Khorasan , Iran

الملخص:-

تعدّ دراسة الافكار و الشخصيات من الدراسات الآكاديمية المهمة التي تزيح الستار و تكشف عن كثير من الحقائق و الخفايا تتعلق بالشخصية تارة و تنمّ عن صنع الاحداث و تحويل الآراء و العقائد تارة أخرى.

يعدّ ميخاييل نعيمة من رائدي ادب المهجر الذي له صيت دوي مع زميله المثقّف جبران خليل جبران في إحياء التراث الادبية العربية.

بما أن له رحلات متعددة و كثرة زيارة الاشخاص و غزير قرائة الكتب نجده يلعب دورا هاما في نشر بذور الفكرة السامية و الرجعة الباطنية إلى الفطرة و تبشير الظهور للحضارة الشرقية منبثقة من قلوب الالهية.

طالعنا كثيرا من آثاره و منتجاته الادبية و الفلسفية لكي نعلم موارده الفكرية و مشاربه الاحتجاجية و مناحيه العبودية و مناهجه التربوية و اساليبه التعليمية التي تساعده لاستيطان في قلوب قرَاء آثاره و مخاطبيه ومحبيه.

فنرى في هذا المجال المكتوب قسم من عقيدته حول الانسان في مبادئه الاساسية فنحظي من حلاوة ادبه وتنوع الفاظه و رفيع رويته إلى الانسان و تفاسيره الخلابة من الانسانية

الكلمات المفتاحية: ميخائيل نعيمه، دراسة الأفكار والشخصيات، المبادئ الأساسية، الله والألوهية، المناحي الفكرية.

Abstract:-

Studying thoughts and personalities is one of the most important academic researches that on the one hand reveals the hidden truths and angles of the personality, and on the other, it informs the events and transformations of beliefs and ideas.

Mikhail Naeemah is a pioneer of Mahjar literature who, along with his cultured friend Jibran Khalil Jibran, played a significant role in reviving the Arab heritage.

Mikhail Naeemah, because of his many travels, visits and studies, layed a large role in the dissemination of progressive ideas , back to nature , and predicting the emergence of Eastern civilization - from the divine hearts-. We studied many of his literary and philosophical works to declare his intellectual and logical resources , worship templates , educational styles and teaching approaches _ That has been able to sit in the heart of its audience_. In this article We see some of his beliefs about God in order to enjoy the sweetness of his courtesy, the variety of words, and his sublime attitude to God.

Key word: Mikhail Naeemah, Studying thoughts and personality, Worldview, God and Worship Man, The source of attitude.

نبذة عن حياة ميخائيل نعيمه وآثاره الأدبية

أطل ميخائيل نعيمه على هذا العالم في سنة ١٨٨٩م في قرية بسكنتا في لبنان. قام منذ طفولته بكسب اللغة والأدب والعلم في شتي الفروع. له صلة وثيقة ((بنسيب عريضه)) في رأس ((مجلة الفنون)) فراح نعيمه ينشر مقالات فيها، وعندئذ مال إلى جمعية

((التيوصوفية)) الفكرية الفلسفية واستخدم هذه الآراء في التقمص، وميزان الثواب والعقاب والخير والشر

وفي سنة ١٩٢٠م أنشئت الرابطة القلمية التي من أهدافها الثورة على الجمود والتقليد والدعوة إلى الإبداع، وفي رأسها ((جبران خليل جبران))، وانتخب نعيمه مستشارا لها. ويقول نعيمه في مقدمة قانون هذه الرابطة: ((إن هذه الروح الجديدة التي ترمي الخروج بأدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الإبتكار في جميل الأساليب والمعاني، الحرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم وركن الغد)). (خفاجي،١٩٨٦م: ٣٩١)

بعد هذه النشاطات الأدبية، اختار لنفسه صومعة في ((الشخروب)) لبعده عن فوضي المدنيات. قصده من هذه العزلة على حد تعبيره: ((التأمل، وغربلة الماضي، وتعرية النفس، وفتح كوي الروح لنور الله.))(نعيمه، ج٢، ١٩٧١م: ٤٩)

فهدفه من هذه العزلة سوي ما قاله نفسه هو التفكير في حقائق الكون وتزكية النفس ومعرفة الله تعالى وهذه كلها ما قربه إلى الحرية الفردية، فلاشك في أنه رجل حر. وفي إثبات هذا الكلام، جدير أن نشير إلى شخصيته بأنه يكره الدنيا وظواهرها كالمال، كما يكره الحسد والبغض والطمع وغيرها من الصفات الرذيلة التي تعرقل وصول الإنسان إلى الحرية.

وأما حياة نعيمه في مجال الأدب فهي حياة مثمرة قيمة. له أكثر من ثلاثين مؤلفا في شتي فروع الأدب منها القصة والمسرحية والأمثال والمراسلة والمقالات الأدبية والنقد الادبي والنقد الاجتماعي الذي نراها في ما كتبه:

١- في فن المقالة: (زاد المعاد)١٩٣٦م. و(البيادر)١٩٤٥م (والأوثان)١٩٤٦م (وصوت العالم) ١٩٤٨م (والنور والديجور)١٩٥٠م(وفي مهب الريح)١٩٥٣م (ودروب)١٩٣٢م (وأبعد من موسكو ومن واشنطن)١٩٧٥م(والمراحل)١٩٣٢م.

٢- (ومقالات متفرقة).

٣- في فن القصص: (أكابر)١٩٥٦م(ومذكرات الأرقش)١٠٤٩م(ولقاء)١٩٤٦ م(ومرداد)١٩٥٢م(واليوم الأخير)١٩٦٣ م(ويا ابن آدم)١٩٦٩م(وكان ما كان)١٩٢٧م(وأبوبطة)١٩٥٨م(وهوامش)١٩٦٥م.

٤- في فن المسرحية: (الآباء والبنون)١٩١٧م(وأيوب)١٩٦٧م.

٥- في فن النقد: (الغربال)١٩٢٣م(وفي الغربال الجديد)١٩٧٣م.

٦- في فن السيرة والتاريخ: (جبران خليل جبران)١٩٣٤م(وسبعون) في ثلاث مجلدات()١٩٧٩م.

٧- في فن المثل: (كرم على درب)١٩٤٦م.

٨- في فن المراسلة: (رسائل)١٩٧٤م.

٩- في فن الشعر: (همس الجفون)١٩٤٥م.

١٠- في فن التأمل: (من وحي المسيح)١٩٧٤م.

١١- وقد عنيت دار العلم للملايين في بيروت بنشر (((المجموعة الكاملة لآثار ميخائيل نعيمه ما بين ١٩٧٩م (و)١٩٨١م (في تسعة مجلدات ضخمة.))) الفاخوري ، ١٩٨٦م: ٣٧١

المبادئ الأساسية:

نقصد بالمبادئ الاساسية للوجود، تلك الاصول التي بدا منها الفكر الانساني وانتهى اليها، او التي طال وقوفه عندها وحيرته ازاءها، وما زالت- حتى الان- في معرض الاسئلة الإنسانية، وهي- على وجه الإشارة لا الحصر- مسائل: الله، الانسان، الحياة و الموت، الروح والمادة، الحس والعقل والخيال و الايمان، العدل والحق والخير والجمال والخلود، واخيرا: القضا والقدر.

وقد كثرت حولها الفلسفات واحتدمت النظريات، وتداولها الانبيا والفلاسفه والشعرا والمتصوفون واهل البحث والتحقيق واهل البصيره والاستشراق.

والاديب المفكر ميخاييل نعيمه - موضوع بحثنا - هو واحد من اولئك الذين تناولوها بجد و صدق و ثبات امتد على طول طريق عمره الذي اشرف على المائه، فما كل و ما مل، و ما فترت له همه، نادر زلات القدم، قليل ان يناقض اليوم ما قاله امس، حتى انتهي فيها إلى مواقف تشبه اللوحات الفنيه اكثر مما تشبه العروض الفكريه و الاطروحات النظريه التي نهج عليها الفلاسفه التقليديون.

وها نحن نستعرض آراءه في المبادي التي ذكرناها، و غيرها، لنجد إلى اي حد يقودنا ليقنعنا ام طريق الوصول إلى جواهر الاشياء هو ان نحيا معها و نحياها لا ان نقلبها على سفود العقل او نغربلها في غربال الحواس.

الفصل الأول

أ: انسانية اليوم

الحقيقة والمال:

الانسان كائن عجيب. قلق، منتظر، غريب عن نفسه و عن العالم. أنه - مذ كان- يتأرجح بين الملاك و الشيطان. بين الارض و السماء. بين الخير والشر، بين الماضي و المستقبل، بين الحق و الباطل، بين السوبرمان، و الحيوان، بين النور والظلام عل يكف الليل و النهار. يطمح طموح الملادكه و يسف اسفاف البهائم، ينازع الله في عرشه و يحاربه في ملكوته، و يذل للحشره و البعوضه من مخلوقاته، يجرم حتى يقتل الطفل في حضن امه، و يستشهد حتى يلقي بنفسه في النار دفاعا عن حقه و قيمه، يكون في جمال الغزال، و يقبح كاشنع القرود، ينطق بوحي الله او يهذي باحلام الطغاه.

ومع ذللك لو القينا نظره على الانسان في عصره الحاضر، لراياه بلغ الاوج - بالنسبه إلى ماضيه- في ناحيتين لا تشبه احداهما الأخرى و هما: العلم و الالم.

عصرنا الحاضر قمه العصور في العلوم و الفنون و الكشوف، بلغ ما لا تبصره العين المجرده لصغره في الذرات، و وصل إلى ما لا تبصره العين المجرده لبعده الغائر في الآفاق، في سمائ الشموس و النجوم و الكواكب.

هو قمه عصور التاريخ في البذخ و الرفاه، يطوي الارض إلى اقصى الارض وهو

جالس مستريح على كرسيه، ويتناول غذاءه الجاهز وهو مستند إلى وسادته، ويسمع ويري من أقصى الارض من يحدثه وهو ثابت في مكانه.

هو في قمه العصور في الشقاء و العذاب و الظلم و الجحاف، هذا عصر الحروب العالمية والدولية والعرقية والطائفية. عصر لا مكان للضعيف و لا للوديع و لا لليتيم و لا للنبيل ولا للشريف ولا لله ولا للرسل فيه.

فكيف نفسر اجتماع النقيضين؟

في الخمسينات اصدر العالم الامريكي "الكسيس كارل" علامه الجراحه الحائز على جائزه نوبل، كتاب اسمه "الانسان ذلك المجهول- **Manthhatannoun** كان مثابه صرخه انذار عن مصير الانسان الاسود اذا ما استمر على ما هو عليه. طالعت الكتاب قبل عقدين. و اذكر انه-من ناحيه حجم الانسان- و ضعه في الوسط التام بين الذره و النجم و انه انذر الانسان بالويل و الثبور اذا لم ينظم نفسه و مجتمعه على اساس احتياجاته الحقيقيه لا الماديه المصطنعه، و منها حاجاته إلى القيم الروحيه و الدين، و إلى حياه حره كريمه وديعه هادئه كحياه الانسان في الريف، و إلى اباحه الحريه في العمل حتى في ترك العمل، وفي الفن والتعبير، وفي الزهد و....

الا ان غيبوبه المدنيه الحاضره مضت كالاخطبوط تلف القارات و تقتلع ما سواها من الحضارات، وانتهت بالانسانيه اليوم إلى موت او إلى حياه هي شر من الموت.

وكان من حسن حظ الادب العربي ان رزق مفكرا كنعيمه و في اهم معقلين للحضاره الاوربيه الحاضره: روسيا و آمريكا، فرأي بام عينه، و بما وهبه الله من بصيره، ظلمات هذه الحضاره وفضائحها،. ليصب جام غضبه عليها في نسق واحد ثابت في جميع ما الف وكتب وصرح، وبنفس ثابت هادئ قويم.

عمد اولا إلى الانسان فقاسه شبرا شبرا: مواهبه، تمزقانه، احلامه، آلامه، حيرته، جزعه، ملذاته، ازدواجيته، ازدواجه، حنينه..... إلى آخر ما هنا لك من امور حوله جذبت انتباهه، و حركت قلمه، و كل ذلك بدون تكلف و لا تصنع بل في صدق و بداهه و استرسال كانه يتحدث إلى صديق يسامره. و هذا شان الادب الصادق.

ثم اهتم بصله الانسان بالله، و مدي وصوله و عدد عثرات، و طرق هذا الوصول و اسباب الفشل و نتايج الخيبه و علل النجاح و مظاهر التوفيق. و نحن تجسيدا لما قدمنا سنتناول من سيله المنحدر شذرات و باقات نرغب في ان تستطيع الاشاره إلى هذا القلم الناصع البديع.

ب: الانسان بين الملاك و الشيطان:

اجري نعيمه حوارا عميقا بين رئيسي الملائكه مره، و بين رئيسي لابالسه مره أخرى، عندما ولد الانسان الاول.

اما رئيسا الملائكه فمجداه و عظماه و باركاه بامثال هذه العبارات المتداوله بينهما:

"لقد ولد للارض مولود عجيب. لقد لد للسماء ملك مجيد. النهار يهجع في عينيه و الليل يقظان في فؤاده. صدره وكر للعواصف، حنجرته سلم الحانو اصابعه تقطف الكواكب، في عظامه تهدر البحار. لكن مهده التراب، و مقمط بالدهور. سيعرف العدد القدسي و سيفقه الكلمه المبدعه... لقد سماه انسانا ذلك الذي لا اسم له، و قد سمي الذي لا اسم له الله."[1] فالانسان كلمه الله. و الله كلمه الانسان.... و هكذا اخذا يترنمان بنشيد التقديس و الاعجاب. في حين استلم معايبه رئيسا الابالسه بهذه العبارات:

الاول: لقد انضم إلى صفوفنا فارس صنديد و بعونه سنغلب

الثاني: احري بك ان تقول: جبان رعديد. فالخيانه معسكره. على جبينه. لكن في جبنه اهوالا.....

الاول: لكن الموت سيكون قائما لمركبته

الثاني: و هكذا يصبح من الخالدين.

الاول: العل الموت يقوده الا إلى الموت؟

الثاني: اجل، سينبرم الموت به و بدموعه و شكاويه الدائمه إلى حد انه سيدفع به في النهايه إلى معسكر الحياه.

الاول: ايخون الموت الموت؟

الثاني: كلا، بل تكون الحياه امينه للحياه."

واتفقا على انهما ان استعبداه بالخوف فسيحميه الامل من الخوف، و ان اخضعاه بالالم فالايمان سيخلصه من الالم، و ان ملا نومه و يقظته بالاشباح و الاحلام فان خياله سيحل الاحاجي و يبدد الاشباح.

و انه منهم و ضدهم لانه يشن وحده حربات شعوا و لا خصم له في الميدان غير ظله. اي انه منسلخ عن شخصيته، روحه امامه، و ذكرياته وراءه.

فمن الذي سيحل هذا اللغز المجهول؟

هذا الحوار ليس جديدا، انه ماخوذ من الكتب السماويه المقدسه، التورات و الانجيل في نسخهما الاصليه و القرآن المجيد: "اذ قال ربك للملائكه اني جاعل في الارض خليفه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون..... و اذ قلنا للملائكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابي و استكبر و كان من الكافرين." و باستنطاق الآيتيت الكريمتين و ما بينهما و ما بعدهما في البقره نفسها و سواها من السور نستنتج ان الملائكه مع الانسان و ان الشياطين "الابالسه" ضده: "قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين. الا عبادك منهم المخلصين."

اذن فاللغز المثار بالحوار الذي اجراه نعيمه محلول اصلا. فالانسان اما ان يكون عبدا للرحمن او للشيطان"انا هديناه السبيل اما شاكرا و اما كفورا" فالحل بيد الانسان نفسه و عليه اللف و الدران و التلاعب بالالفاظ و دلالاتها اللغويه هو قطب الالغاز المجهوله الحل و هو طريق سلكه اديبنا في كثير مما يطرح. لا ننكر ان الانسانيه معذبه كانت و ما تزال و لكنها ابت ان تهتدي الصراط المستقيم و اختارت سواه طريق المغضوب عليهم، فمن الطبيعي جدا الا تحصد الا الشوك والا تشرب الا الغسلين، معذبه بلا شبع او ارتواء و بائسه بلا حياه او ممات و ضاله بلا صراط، هائمه بلا هدف، حاقده بلا سبب، تجمعها الصيحه و تفرقها العصا، و هذا هو.... هو.... هو ديدنها حتى تكف عن غيها او إلى ان تتبعثر من القبور و يحصل ما في الصدور.

واعتراضا على ما ورد في الصفحه (١٤٩):لقد سماه انسانا ذلك الذي لا اسم له، وهو

قد سمي الذي لا اسم له الله.

نقول: هذه اشكاليه صارخه تتنافي مع جميع المعتقدات السماويه و الا فماذا نقول في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وهي الحقيقه الالهيه الثابته فالخالق سمي ذاته باكثر من لغه. و ما "الله" الا اسمه في اللغه العربيه و هو ليس الاسم الوحيد لان اسماءه الحسني بلغت تسعه و تسعين اسما. و القرآن النجيد خير شاهد و لذلك نري ان يكون الكلام الذي تحته خط هكذا "لقد سماه الله انسانا" حتى لا نقع في متاهه اعتقاديه بالتقيد بكل ما اورده نعيمه.

الفصل الثاني

الإنسان والكون

نعتقد عاده ان الانسان جزء من الكون. وبناء على ذلك فهو اقل من الكون وادني، والكون اعلى منه واهدى، وتبعا لذلك، فالكون باق عال، والانسان فان زائل.

نيمه ينقض هذه النظره ويعتبرها مباشره سطحيه. فالانسان جزء من الكون، هذا صحيح. ولكن الكون كله - ظاهره وباطنه - فيه وعلى هذا فليست الارض وحدها مسكنا للانسان. بل كل جزء من الكون قد حل في الانسان، فلانسان يسكن وطن هذا الجزء الحال فيه.

نور الشمس يتغلغل فينا، اذن فجزء منا يسكن الشمس. والزمان - الازل - قبلنا يتغلغل فينا، اذن فقد كنا من الازل نحوك نسيجه. والمستقبل - كله - يلمع امام ابصارنا، ويسدد خطانا. اذن سنحيا مستقبل الدهر كله.

فكما ان الانسان بكله في الكون، فان الكون كله في الانسان.

أيظن الانسان انه حين يتصل بنظره و قلبه بالنجوم، غريب عنا طارئ عليها؟

كلا! ان وطنه النجوم، و وطن النجوم قلبه.

أيظن حين يشم الورده يشمها خارج كيانه و يطرحها هناك بعيدا عن مجاله؟

كلا! اذ كيف يتاثر بها و يانق لعطرها و جمالها لولا حدائق من الورود و العطور في

صميم وجدانه و رحاب روحه.

الانسان ليس جزءا من الكون، انه الكون كله.

إليك مقتطفات من نعيمه بهذا المعنى، تبهرجه و تؤرجه خيرا مني:

"نمرض فيمرض الكون ونبكي ويبكي الكون. ونرقص فيرقص. ونغني فيغني. العل الكون رجع صدانا؟"

"الكون كله نسيج هائل يحاك على منوال هائل، و في هذا النسيج تتداخل الخيوط بعضها في بعض لتؤلف الكل الشامل. و هذا يعني ان الفرديه لا وجود لها و لا قيمه لها في ذاتها الا اذا احست نفسها مكمله للنسيج فكانها هي النسيج بكامله.

و هذه الفرديه لا تعرف ذاتها الا اذا هي اتحدث بالكل فباتت كانها الكل."[٢]

والحق ان نظره كهذه يؤيدها الواقع. الواقع المؤكد، ولدينا الكثير من الادله على مستوي الادب و بالخصوص الشعر الذي نقتطف من جناته الالفاف هذا البيت:

وتحســـب انـــك جـــرم صـــغير وفيـــك انطـــوى العـــالم الاكـــبر

فالانسان- كا يوحي البيت- لي هذا المخلوق الفرد المكون من جسد هو راس و جذع و اطراف، و من روح لا يعلم حقيقتها الا عالم الغيب ئ الشهاده، اجل ليس هذا كل ما في الانسان من لوازم ادامه الحياه له انما هو اكبر من هذا و اكثر بكثير.... كثير.

لنصل اخيرا إلى الكون الذي في نظر القلب سعاده و سلامه بعد ان شرح الله فيه جماله و نظامه.... الكون الذي منه الانسان و فيه.... و الانسان الذي لولاه لفقد الكون حلاله و حرامه.

و من قصيده أخرى بعنوان "اغمض جفونك تبصر":

اذا سماؤك يوما تحجبت بالغيوم

اغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم

والارض حولك اما توشحت بالثلوج

اغمض جفونك تبصر تحت الثلوج مروج

و ان بليت بداء و ثيل داء عياء

اغمض جفونك تبصر في الداء كل الداء

و عندما الموت يدنو و القبر يفغر فاه

اغمض عيونك تبصر في اللحد مهد الحياه(٣)

و هذه روضه أخرى من رياض رائعه هندسها خيال نعيمه البعيد المدي، و بناه فكره الثاقب و انبت فيها هذا المضمون الرائق فاستوي يعجب القراء وقعه و كيف لا و قد تحجبت المساء بالغيوم عذراء تستر جمع النجوم، و الارض توشحت بالثلوج و تحت الثلوج مروج، و الداء مهما كان عياء افان فيه الدواء و حين يحل المكوت و القبر يفتح فاه فلا يري فيه الا الحياه.

هذا وان سوق النماذج الشعريه و التعليق عليها ليس القصد منه الحديث عن ادبه نثرا او شعرا.

وانما-و كما اشرنا سابقه- اردناها ادله على ان كل ما في الكون متداخل بعضه في بعض. فالكون كله في الانسان. و كل الانسان في الكون كما يؤكد نعيمه. "ميخاييل نعيمه عندي وحده متماسكه و هو يحاول بكل قواه ان ينسجم مع نفسه اولا ثم مع الكون الذي حواليه (الكون الارضي و الكون الشامل) نحن نعيش في بيئه ما و زمان ما و لكننا لا ندري متي وجدنا في هذا الكون و إلى اين نحن سائرون.

انا اقيس خطواتي بالاشواق التي تتولد في نفسي و كلما حققت شوقا من هذه الاشواق حسبت انني تقدمت خطوه إلى الامام. و انا ما زلت حيا و هذه الاشواق ما زالت تتولد في. في كل يوم شوق جديد إلى اشياء جديده، و سابقي بهذا المضمار إلى ان انسجم مع الكون انسجاما كليا و ان لا اري شيئا في هذا الكون غريبا عني. فهو مني و انا منه. و انا في حاجه اليه كما هو في حاجه إلى. انا اتمم الكون و الكون يتممني... على ان احافظ على الهدف من وجودي و هو معرفه الكون و الاتحاد فيه."(٤)

الفصل الثالث

أ: حكم وحقايق عن الانسان:

سيكون الحديث في هذا الفصل مستهلا لمجموعه من الحكم و الحقايق عن الانسان لنعيمه الذي لم يفتا يتحف قراءه بها كلمات كانت لها حاجه ماسه.

"-نحن عبيد كل خليه من خلايا اجسادنا، و كل حاجه من حاجاتها، كنا في المغاور عبيد المغاور، و ها نحن في القصور عبيد القصور."(٥)

"- انتم لم تسكروا بخمره الفهم لم تصحوا بقبله الحريه."(٦)

"-لا الانسان يستطيع ان يهرب من حياته، و لا حياته تستطيع ان تهرب منه."(٧)

"- ما من بشر استطاع حتى اليوم ان ياخذ من الحياه شهدها دون علقمها، او ان يبلغ حافه القبر غير نادم على شيء و غير راغب في شيء، فغصه الشهره المختوفه، و بصيص الرجاء التائه يرافقان كل حي حتى آخر نسماته."(٨)

"- الاستطاع الانسان حتى اليوم ان يرصد من الكون مسافه ١٤٠ سنه ضوئيه. و السنه الضوئيه ٥/٥٦٩/٦٩٦/٠٠٠/٠٠٠ ميلا. رهيب هو الكون. و ارهب منه الانسان. فسبحان من كون الاثنين.-"

- صليت لربي ليعلمني كيف يردني ان اصلي
- ما كان اسعدنا لو كنا نتمني الا نتمني
- قلت للبحر: ما اعظمك. قال: اعظم مني هو الذي يشهد بعظمتي.
- المبصر و الاعمي كلاهما يعيش في ظلمه دامسه بالنسبه إلى الدقيقه الآتيه.(٩)

ب: الانسان المامل المتغلب:

يتناول نعيمه الانسان الكامل من غير الناحيه التي تناول فيه نيتشه الانسان السوبرمان في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" و الذي تاثر به نعيمه برهه من الوقت.

فالسوبرمان هو فارس المحيط الانساني العنيد، الذي الريح صوته، و الشمس حظيته،

مهدد بالانتحار في اي لحظه، و عاشق للبعيد و المبهم و الصعب.

اقرب هو إلى الالحاد منه إلى الايمان بل ان سوبرمان نيتشه يعتبر الايمان خواء وضعفا و رجعه إلى الوراء.

اما سوبرمان نعيمه-مثل سوبرمان جبران- فهو الذي ذاب في الكون او ذاب الكون فيه، الذي يتغذي من غذاء سحري مبهم مجهول، بين النجوم و مع جنيات الليلي و نسائم السحر في رياض العصور.

هنا الانسان الكامل- و يسميه ايضا التواق- يترفع عن شهوات اللحم و الدم، و لا سيما الشهوه الجنسيه. فهوه "منعتق إلى حد الا يكون ذكرا، و متسام إلى حد الا يكون انثي. فمثلما الذكر و الانثي واحد في اسفل درجات الحياه و اكتفها. كذلك هما واحد في اسمي اجواء الحياه و اصفاها."(١٠)

و يصفهم-في مرداد- بانهم عشاق الليل و يعتبر الطبيعه تهيم بهم و تتغزل مبتهجه بحبهم. ذلك لان ضمائرهم صافيه من الذنوب. و ذكرياتهم خاليه من الآثام. خلاصه القول انه انسان موحد:بينما غيره انسان التناقض و الثنائيه كما ينظر هو. انه ثمره شجره الحياه، صافي ينبوعها الطاهر.

ج: جبروت الانسان و قدرته النفاذه:

أرايت إلى جبروت الانسان في ما اخترعه و اكتشفه الآن في هذا العصر؟

ان نعيمه يعتبر هذا النصر المؤزر لانتصارات الانسان على المجهول ليس سوي جزء يسير من انتصاراته في المستقبل حيث سيضحك من حياته الماضيه- اي حاضره الآن- و من قله و ضعف و سائله! و لكن متي؟ حين ينتقل على هواه من أقصى نجم إلى أقصى نجم بمجرد الرغبه و الهوي، بالفكر و الاراده و النيه. اذ هناك قوي في الانسان دفينه اذا انطلقت من عقالها انطلق المارد الجبار من القمقم. عالمه آنذاك لا حدود فيه و لا قيود و لا سدود و لا حكومات و لا جيوش و لا سائل و لا مسئول.

وطبيعي ان نعيمه يرسم لنا هنا معالم المدينه الفاضله القادمه، بصوره مجمله وقياسا للحاضر على الماضي، ولكنه يعطينا سمتها العامه، ولا يكذ رلنا التفاصيل، ولا كيف ولا

متى يحدث ذلك.

فاذا تاملنا هذا، وجدنا السبب في ان رسم شكل مائده المستقبل الانسان تعسف و تكلف لا يستند إلى اساس من العلم و لا الوجدان. و طالما صرح نعيمه انه ليس امين سر الحياه ام سكرتير الكون، اما التنبؤ بصفته العامه و ملامحه الكبرى فحقيقه تستند إلى حقايق التاريخ و الوجود الانساني و ما آلت اليه الحياه البشريه في حاضرها المتطور يوما بعد يوم قياسا على ماضيها الساذج القعيد.

فهناك - في دوله المستقبل - "لعل ابشع ما سياخذه علينا الآتون من بعدنا هو اقتتالنا على هذه الارض و خيراتها في حين اننا نقطن عالما لا حدود له، و لا نفاد لخيراته. و ليست الارض منه باكبر شأنا من سلحه ذبابه على صخره في راس جبل."[١١]

يكرر نعيمه القول: ان الانسان و ان كان على الارض فهو اكبر من الارض. و يظهر ذلك من تعليقه على الفتاه الروسيه تيريشكونا التي انطلقت وحدها في سفينه فضائيه لتدور حول الارض بضعه ايام. اذ قال:"اما انها قفزه جلبت امجادا ضخمه للفتاه، و للبلاد التي انجبتها. فامور ثانويه القيمه و الاهميه. اذ ان تلك الامجاد لن تلبث ان يخبو بريقها، و تنصل جدتها.... لكنها اقدمت على مغامرتها المذهله و روحها على كفها، لتوسع في "المدي الحيوي" لاخوانها الناس، و لتبرهن لهم ان حدود ذلك المدي هي حدود الزمان كله، و المكان كله، اما الانسان فبريق ايمانه لا يخبو، و عزيمته ابدا في تجدد."[١٢] و يقول في مرداد: انما الارض كلها تحيا فيكم، و انما السموات و كل اجنادها حيه فيكم."[١٣]

الفصل الرابع

هدف الحياة من وجود الانسان

(الحياه) هذه المفرده التي اعطاها نعيمه من تفكيره الكثير و اشبعها اهميه و اولاها جداره حتى صرنا نراه فيها غيرمستقر على معنى لغوي وضحت هي اصلا للدلاله عليه او على معنى اصطلاحي حبذه لها او على معنى مجازي اختاره، الامر الذي استدعي منا غير قليل من الاعتراضات و الملاحظات فبتنا و اياه بسببها على طرفي نقيض و هو في هذه المره نفسه فيما سلف. و كما نفهم من العنوان (هدف الحياه من وجود الانسان) اننا لسنا الاعيب

اطفال خلقتنا الحياه لتظهر براعتها في الخلق، او كما ظن بعض فلاسفه اليونان. ان: الالهه اصيبوا بالملل، فخلقوا الانسان ليدفعوا به الملل عن انفسهم.

كلا! الامر كما قال الشاعر التركي ناظم حكمت: الحياه جد فيجب الا ناخذها كنكته.

يجوز ان يكون في الامر نكته بارعه او لعبه، لو كنا غربا عن الحياه، دخلا على جسدها، اما و نحن منها هي منا، فالشيء لا يلهو بنفسه، و لا يسخر من ذاته، و لا يلعب بمصيره.

الحياه تسعد بنا و تشقي مثلما نسعد بسعاده اطفالنا و نشقي بشقائهم. او كما نوه به هيغل في مواقف الحيره و العذاب بان المطلق لا يقل عذابا و حيره من النسبي و المنتهي.

الحياه صادقه معنا، فاذا كذبنا عليها و زيفنا ارادتها منا، كان جزاؤنا الالم والعذاب والموت، و نكرر ما ذكرناه آنفا عن نعيمه:

"هي ما ولدتك لتتسلي بك، بل لتتجلي فيك. و هي تريد ان تصبح مثلها واعيا كل ما كان، و ما هو كائن، و ما سيكون، طليقا من احابيل الزمان و قيود المكان، مالكا كل شيء، و غير مملوك لشيء، شاملا لا مشمولا، خالقا لا مخلوقا و فوق الخير و الشر."[١٤].

الفصل الأول

الانسان و اللّه

عن مكان الانسان من الله، بمقارنه قول الواحد الاحد تعالى في كتابه المجيد: "و ان من شيء الا يسبح بحمدهه و لكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حكيما غفورا"[١٥] بقول نعيمه: "كل ما في الكون يعبر عن الله تعبيرا صادقا، لو كانت لنا القدره ان نسمع و ان نعي كل ما فينا و ما حوالينا. و الانسان في نظري هو الصوره الاسمي لتلك القوه على الارض، و هو يملك مثلها القدره على الابداع و التنظيم. الا ان لا يزال بالنسبه إلى تلك القوه كالطفل بالنسبه إلى والديه فهو يتفتح جيلا بعد جيل عن قوي كامنه فيه، و لا حد لها على الاطلاق."[١٦]

الفصل الثاني

التقمص أو التناسخ

معناه ان الانسان اذا مات، حلت روحه من جديد في جسد انسان آخر او حيوان آخر ويظل يطوي سلسله التقمصات هذه، حتى يشف كيانه، وتطهر روحه، ويصير مؤهلا للرجوع إلى احديته الأولى:

وطروق هذه الفكره في العقل الانساني قديم جدا. فقد اشار اليها الفلاسفه اليونانيون القدماء الاول. وعلى راسهم فيثاغورث، نقلا عن الفلسفات الهنديه والاسيويه التي هاجر إلى بلادها. واكدها افلاطون ولاقت رواجا في رواق الفلسفه اليونانيه.

و الهند هي معدن هذه النظريه و مصدرها العريق. و هي-اي نظريه التقمص- تعتبر حجر الزاويه في كل دين و نحله ظهرا في الهند كالهندو كيه و البوذيه و الجانتيه و.... فما من انسان حسب هذه الاديان ظهر على وجه الارض الا و قد مر بسلسله طويله من التناسخات، قبل وجوده الحالي، و سيمر بسلسله أخرى بعد وفاته حتى يلتحق بالرعيل بعد از تصفور روحه، و تمحي ذنوبه.

و التقمص يشمل الجميع حتى الآلهه و الارات (البشر الكاملين) فبوذا نفسه تقمصت روحه جسد قرد، و قرد مسكين ضعيف كان عرضه لتجاوزات و اعداء قرد آخر ضخم و حشي السمات.

و على اساس هذه النظريه حلت مساله عدم تناسب رزايا الانسان مع اخلاقه كان لا تناسب مصائب تصب على انسان طيب بريء، بينما تنهال النعم على مجرم عريق في الاجرام. و مصائل تنزل على الطفل البريء فيموت و يتعذب، بل قد يموت في بطن امه فاي ذنب جناه؟

ما سر ما يقولون ان فلانا سيء الحظ على نفسه نحس على غيره فما حل مكانا الا حدثت مشكله، و لا عمل عملا الا فشل، و لا حضر قوما الا نكبوا؟

فالتناسخ اذن لا يسلمك مفتاح الاسرار، بل هو نفسه سر يحتاج إلى توضيح.

٤: و اين نضع من هذه النظريه عذاب الشهداء و المظلومين: هل الشهداء و هم يضحون في سبيل قيمه من قيم الحياه الساميه، هل هلاء يكفرون عن ذنوب سابقه؟

لكن نعيمه اطمان إلى هذه النظريه اطمئنانا شديدا. و وجد فيه الملاذ من الحاح اسئله كثيره يطرحها هذا العصر البعيد عن الله الذي عاش فيه، فقد كانت مسأله الشر و ما في العالم من غبن و ظلم و تفاوت، هي المسأله الكبري التي تقف امام الانسان و تمنعه من الاتجاه إلى الله، لا سيما في هذا العصر الجاحد لوجود الله، و قد عاش و واجه نعيمه مدينتين كلتيهما تميل إلى العلمانيه و الالحاد في روسيا و في الولايات المتحده الآمريكيه. و لكنه يجب على سؤال: "اي حل وجدت في التقمص؟ قائلا: عندما ضاقت بي تعاليم الكنيسه فكرت في الواقع و ما فيه من تفاوت، اهتديت إلى التقمص و استرحت. من قبل كنت معذبا، اعطاني التقمص فرصه لانني راغب في الكمال، ماذا يمكني ان اعرف عن الكون في عمر واحد؟ اتنفس و لا اعرف لماذا؟ اكل تفاحه صغيره و لا ادرك ان فيها سر الكون، فالشمس و العمال و النهار و الليل و كل العناصر، عملت على تكوين هذه الثمره."(١٧)

فضيقه من تعاليم الكنيسه و تفكيره في الواقع و ما فيه من تفاوت هو الذي هداه إلى التقمص فاستراح بعد عذاب و تم له الكمال بعد رغبته فيه.

و قد سيطرت هذه الفكره عليه و على جبران و معظم ادباء المهجر. و لا سيما في فتره بحثهم عن شاطيء يركنون اليه وسط خضم الافكار و الحياه في نيويورك: بابل القرن العشرين كما كانو يسمونها.

و قد وجدوا هذا الشايء في الافكار الثيوصوفيه، و لم يتاثر نعيمه بالماسونيه التي اعتنقها اوه اديب، لغلبه القشور فيها على الاصول، و لكنه اطمان- مع صديق عمره جبران- إلى التقمص. لكنه يعود و ينفي ما قرره في اعلاه و هذا هو يقول: "اما التقمص- كعقيده- فمن اجمل العقائد و اقربها إلى العقل الطامح ابدا إلى خرق "الحجاب" و قد ظللت سنينا اقول بهذه العقيده. و سواء صح معتقد التقمص ام فسد، فلا شك عندي في ان ارواح الناس تتقارب و تتباعد كما تتقارب الاسباب و النتايج و تتباعد."(١٨)

فالايمان بالتقمص ايمان عارم استحكم في نفس الصديقين- نعيمه و جبران- بقدره و اصرار، و ظل نعيمه مخلصا لرايه هنا في نسق واحد سنينا، و على مدي غير قليل من كتاباته، ففي "مذكرات الارقش" و هو من أولى كتبه يقول على لسانه:

"سابقي ارقشا إلى ان اخلع هذا الثوب و ارتدي سواه، ام كما يقول الناس- إلى ان اموت"(١٩)

و من هذه الخطوه- اي الايمان بالتقمص- ينتقل نعيمه إلى خطوه أخرى، و هي انه يعلل الظهور المتناوب للروح في تناسخاتها إلى مبدا او قاعده التكرار في الزمان او في الزمان و المكان، و التي نشاهدها امامنا في الطبيعه و في التاريخ صباح مساء، و هي تكرار و اعاده الاشخاص و الاشياء و الحداث، ففي مرداد-و هو من انضج كتبه و اغناها بآرائه- يجري الحوار التالي بين ميكاستر- احد رهبان الفلك- و مرداد:

"ميكاستر: انعود إلى الارض ابان تنقلنا من حاله إلى حاله؟

مرداد: "التكرار هو سنه الزمان. فلا بد لما حدث مره في الزمان من ان يعود فيحدث غير مره."(٢٠)

نجد نعيمه هنا يعتبر التقمص جاريا على مبدا زماني هو التكرار.

التكرار:

و التكرار هذا تكلم عنه فلاسفه كثيرون، كل من وجهه نظره، فالتكرار حجر الزاويه في فلسفه ابي الوجوديه الحديثه كيركجارد الذي يلفت نظرنا في احد كتبه الرئيسيه:" اما... او" إلى مسأله التكرار في الوجود و الطبيعه، و يللفت نظرنا إلى انه ليس تكرارا جامدا رتيبا، بل هو تكرار تضيف المره فيه من كتر الوجود الذي لا يفني إلى مراته السابقه.

و على هذا الاساس يجب ان بين المرء حياته: فينبذ حياه السعي وراء اللذه، و يكرر حياته-او وجوده- هذه المره، و معه دم جديد لحياه الهيه جديده، و حسب عبارته "يجعل الله شاهدا و وكيلا."(٢١)

وموضع الرهبه منها انها لا تدع مجالا للانشان ليتحرك يمنه و لا يسره فاذا كان الآن

معذبا يعاني الآلام المبرحه، فهو قد عاناها قبل ملايين المرات و هو سيعانيها بيعنها إلى ما لا نهايه.

و هذه النتيجه الحتميه لها.

لكن نعيمه اغناها حقا و دفع بها إلى قمه التفاؤل و الحيويه. فعوده الانسان ثانيه إلى الارض، و مده هذه العوده، مرهونان برغبه الانسان في حياته هذه و رغبته و عطشه و لوعته على اشواقه على وجه الارض و آماله التي لم يحققها. "اما طول الفترات وقصرها ما بين العوده و العوده فموقوف، فيما اختص بالانسان. على اراده كل انسان و شده رغبته في التكرار.

فعندما تخرجون من الدوره المدعوه حياه إلى الدوره المدعوه موتا حاملين معكم عطشا إلى الارض لما يرتو وجوعا لما يشبع، حينئذ تعود الارض فتجذبكم إلى صدرها من جديد و هكذا تعود الارض ترضعكم، و الزمان يفطمكم حياه تلو حياه و موتا بعد موت إلى ان تفطموا انفسكم الفطام الاخير بملء ارادتكم و من تلقاء نفوسكم."[٢٢]

و ها نحن نذكر لك شذرات من آرائه التي يبنيها على التقمص و يستنتجها منه عبر كتبه و تصاريحه:

١- فالفضيله التي نراها تسربل بعض الناس،، و سمو النفس و علو الهمه، لم تنزل فجاه عليهم منم السماء و لا سخا بها الحظ السعيد بل "النبل عصاره اختبارات لا تحصي مرت بها النفس على مدي حيوات عديدات."[٢٣]

٢- والغريب ان نعيمه لم يكن قد آمن بالتقمص بل لم يكن قد سمع به قبل ان يلتقي بشاب اسكاتلندي كان يدرس الصيدله في الجامعه الآمريكيه في سياتل بالولايات المتحده آلمريكيه و التي كان نعيمه في سنته الثالثه فيها آنذاك، و قد دعاه "بل"

و كان "بل" يعزف الموسيقي و ينمتي إلى الجمعيه الثيوصوفيه التي كان يعزف لها الموسيقي كل خميس في اجتماعاتها، و اخير نعيمه بذلك فساله عن اهم مبادئها فقال "بل": انه التقمص، و ميزان الثواب و العقاب" و دار بينهما حوار طريف نقله لنا نعيمه في كتابه: "سبعون/ المرحله الثانيه، ص ٤٥ فما بعد" قائلا ان هذا الحوار بدا مع الشاب الاسكاتلندي

الذي كان يشاطره غرفه صغيره اكتراها معا في احد البيوت المجاوره للجامعه، بعد فتره تفكير مضني قضاها صغيره قبل ذلك في مسائل الحياه و الموت و معنى الحياه و الموت و اختلاف الاعمار و الحظوظ و جدوي التفكير و مغزاه، مع حيره في كل هذه المعضلات، يقول نعيمه: "ثم احسست النفق ينفرج، و ابصرت نورا ضاعت فيه كل الحدود بيني و بين الكائنات."(٢٤)

و يدور بينه و بين "بل" هذا، حوار عميق الدلاله و طريف، يفي بمفهوم التقمص عند نعيمه تماما، و يكشف عن عمق تاثره به، و وفاء مذهب التقمص بالاجابه على الاسئله التي حيرته زمانا طويلا قبل اهتدائه إلى "بل"، و يوحي لنا نعيمه من طرف خفي، بان الابديه جمعته مع "بل" لكي تنقذه من ليل الحيره و الشكوك.

و ها نحن ننقل جانباه منه، لاهميته. يسال نعيمه صاحبه:

"-التقمص؟ و ما معنى التقمص؟

- معناه ان كل من يموت يعود بعد فتره من الزمن فيولد من جديد- كما تفعل الحبه بالتمام. فهي تموت لتولد حبه من جديد

- اتعني انني ساموت ثم اعود فاولد في مثل جسمي الحالي و ظروفي الحاليه؟"

و قبل اجابه"بل" على السوال تبين مما سبق انه لو صح ذلك لكانت هذه نظريه العود الابدي التي قال بها نيتشه. و قد قلنا عنا سابقا انها لا تفسر شيئا، و تدعو إلى الجبر و التشاؤم، و بقدر ما هي مخيفه، هي ايضا سخيفه.

لكن "بل" لم يمهله قائلا:

"لا، بل تولد في جسد جديد يهيا لك حسبما تقتضيه اعمالك و ميولك و مواهبك و علاقاتك التي حملتها معك عند المت من حياتك الحاضره."

- و من الذي يهيئ لي ذلك الجسد؟

- القائمون على ميزان "التكافؤ" او ميزان "الثواب و العقاب"

هوامش البحث

(١) -الافضل استبدال الكلام الذي تحته خط بـ((لقد سماه الله انسانا.))
(٢) -نعيمه، ميخاييل، احاديث مع الصحافه، ص٢٠٧.
(٣) -نفس المصدر، ص٩.
(٤) -الخوري طوق، جوزيف، موسوعة ميخاييل نعيمه، ج٢، ص٥٨.
(٥) -نعيمه، ميخاييل، أبعد من موسكو، ص٣٩.
(٦) -نعيمه، ميخاييل، مرداد، ص٢١٥.
(٧) - نعيمه، ميخاييل، هوامش، ص١٢٦.
(٨) - نعيمه، ميخاييل، في مهب الريح، ص١٦٦.
(٩) - نعيمه، ميخاييل، ومضات، صفحات مختلفة.
(١٠) - نعيمه، ميخاييل، مرداد، صص ١٨٠ - ١٨١.
(١١) - نعيمه، ميخاييل، ابعد من موسكو، ص١٢٢ - ١٢٣.
(١٢) - نعيمه، ميخاييل، هوامش، صص ٦٥ - ٦٦.
(١٣) - نعيمه، ميخاييل، مرداد، ص١١٤.
(١٤) - نعيمه، ميخاييل، يا ابن آدم، صص ١٩١ - ١٩٢.
(١٥) -الاسراء، الآية٤٤.
(١٦) - نعيمه، ميخاييل، احاديث مع الصحافة، ص٢٠.
(١٧) -الخوري طوق، جوزيف، موسوعة ميخاييل نعيمه، ج٤، صص٢٠٦ - ٢٠٥.
(١٨) -مشرق، امين، شعر و نثر، صص ١٨٩ - ١٩٠.
(١٩) - نعيمه، ميخاييل، مذكرات الارقش، ص١٦.
(٢٠) - نعيمه، ميخاييل، مرداد، ص١٦٦.
(٢١) -كيركجارد، اما... او، ترجمه سعد عاشور، ص٥٧: القاهره، ١٩٧٥.
(٢٢) - نعيمه، ميخاييل، مرداد، ص١٦٦ - ١٦٧.
(٢٣) - نعيمه، ميخاييل، دروب، ص٧٨.
(٢٤) - نعيمه، ميخاييل، سبعون، ج٢، ص٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

١- نعيمه، ميخاييل، احاديث مع الصحافه، ص٢٠٧.

٢- الخوري طوق، جوزيف، موسوعة ميخاييل نعيمه، ج٢، ص٥٨.

٣- نعيمه، ميخاييل، أبعد من موسكو، ص٣٩.

٤- نعيمه، ميخاييل، مرداد، ص٢١٥.

٥- نعيمه، ميخاييل، هوامش، ص١٢٦.

٦- نعيمه، ميخاييل، في مهب الريح، ص١٦٦.

٧- نعيمه، ميخاييل، ومضات، صفحات مختلفة.

٨- نعيمه، ميخاييل، يا ابن آدم، صص ١٩١ - ١٩٢.

٩- الاسراء، الآية٤٤.

١٠- الخوري طوق، جوزيف، موسوعة ميخاييل نعيمه، ج٤، صص٢٠٦ - ٢٠٥.

١١- مشرق، امين، شعر و نثر، صص ١٨٩ - ١٩٠.

١٢- نعيمه، ميخاييل، مذكرات الارقش، ص١٦.

١٣- كيركجارد، اما... او، ترجمه سعد عاشور، ص٥٧: القاهره، ١٩٧٥.

١٤- نعيمه، ميخاييل، دروب، ص٧٨.

١٥- نعيمه، ميخاييل، سبعون، ج٢، ص٤٥.

١٦- پژوهنده، سيد جاسم، دراسة في فكر و ادب ميخائيل، الاهواز، ١٣٨٩